الآلام وقسوة الأحاسيس كانوا يطلقونها من أعماقهم ويتخففون بها من بعض مـا ألم بهم وجثم على صـدورهـم.. ومن فـرط معـانـاتهم زاغت أبصارهم واهتزت الرؤية أمـامهم.. وفوجئوا برجال انشقت الأرض عنهم يجرون نحـوهم وقـد ارتـدوا «بـرانيـط»: فـوق رؤوسـهم «وتـزالك» فى أقدامهم كـان الرجال يهرولـون بسهولة تجاههم فى هـذه الأرض المهلكة بعـد أن وقـوا سيقـانهم بهذه الأحـذيـة ذات المواصفـات الخاصـة .. صدمتهم المفاجأة وسيطر الرعب على قلوبهم.. إن هذا النهار الذى قارب على نهايتـه لهو أسـود نهار مر بهم منـذ أن بـدأوا مسيرتهم.. بل لعلـه أسود كثيرا من نهار الخامس من يونيو الكئيب.. أبعد هذه المعاناة وهذه الملحمة الـرائعة من الصبر العميق وقوة التحمل والثقة فى عنـاية ورحمة السماء بالعبـاد يقعون فى الأسر.. لاشك أن هؤلاء الـرجال الـذين يعدون نحـوهم ولا تفصل بينهم سوى بضعـة أقدام من اليهـود.. من يمكن أن يرتدى البرانيط سوى الخواجات الملاعين من اليهود وهذه «التزالك» من يستطيع أن يقى بها قـدميـه سوى أفـراد القـوات المسلحة الإسرائيليـة الذين تجهزهم الولايات المتحدة الأمريكية بأحدث المعدات الفنية.. بسرعة عملت الأذهـان واشتغلت الأفكـار وسيطـر الفـزع والـرعب وجثم الأسر بأهـواله وفظـاعتـه على العقـول فلم تجد منجى أو مهربـا من كل هـذه الأثقـال سـوى الفقـد الاختيار للـوعى وهى حـالـة نفسيـة تنتـاب من يتعـرضون لكـوارث لحظية فجـائية.. وقـد تتصاعـد حدة تأثير الحالـة فتودى بـالحياة ويفقد معهـا الإنسان روحه.. غـاب الرفـاق عن الوعى وراحوا فى سبـات عميق من هول الصدمـة وكاد بعضهم يموت غـرقا فى مياه الملاحة قبل أن تمتد إليهم أيدى الرجال القادمين نحوهم.

واجـه رجال قنـاة السـويس العـاملين بمنطقة الكـاب وهى محطـة بحريـة فى وسط الطريق بين القنطرة وبـورسعيد مشقة بالغـة فى القيام بمهمة إفـاقة أعضـاء الجماعة المغشى عليهم ولم يـدركوا للـوهلة الأولى ماسبب هـذه الظاهرة الجماعية الغـريبة.. لولا أن الأعـرابى ظل محتفظا بتماسكه وهدوئه وقال لهم لقد ظنـوكم من اليهود وتصوروا أنهم وقعوا